

العلمي الذي أنتهى إلى قدسيته... فهيا إلى (الرسالة) مجلة
الأدب المالئ

تاريخ الحياة العلمية

في جامع النجف الأشرف

للأستاذ ضياء الدين الدخيلي

- ١ -



الباب الشرق من جامع النجف الأشرف

أيها الأخ، إن تاريخ الدراسة في هذا المعهد الجليل يتوغل في أعماق المصور الإسلامية إلى أمد بعيد. وبما أن نواته هي البنية التي أقيمت على مرقد الامام علي بن أبي طالب (ع) فلا بد للراغب في معرفة حياته العلمية والأدبية في أدوارها من طفولتها إلى شيخوختها— أن يلم إلامة قصيرة بنشأة هذه البنية وتطورها في عراق الممران. فقد كان حب الشخصية الإسلامية القوية المدفينة هنا، هو الذي جذب العلماء إلى مجاورة المرقد الطاهر ليشيدوا قواعد هذه المدرسة ويكونوا الحلقات لرفع منار الثقافة الإسلامية من الحديث والفقه وأصوله والفلسفة وما تسانزم من مقدمات تمهيدية وأسس أصبحت بعد حين مبانى مستقلة بنفسها كفنون الأدب والرياضيات من هندسة وحساب وهيئة. لقد استمر التدريس في بناية القبر الملوي حتى الآن، فقد درست فيها النحو والمنطق والمعادن والبيان وعلم الفقه وأصوله والفلسفة الإسلامية على أساندة عرب وفرنس في حلقات كبرى وصغرى

هاهي ذي مجلة الأستاذالزيات تحمل على أجنحتها رسالة الإخاء الإسلامي العربي! أما ترى كيف أصبحت رابطة التعارف بين أستاذ في جامع النجف الأشرف وبين أخ له وراء الصحاري والقفار! أي وكرامة العروبة والإسلام هو أخ لي تضمني إليه ربة الجامعة المقدسة وإن لم تسبق لي معرفة بذاته الكريمة. هلم بي يا قلى لتلبية الدعوة وإن أتقتك المشاغل. هذا أخي الأكرم يناديني من (طنجة) لأباده المعرفة وأسهب له في حديثي عن سير المهدي

هنا شأنه مع الكتب — وهو مولد قلق — فاشأه مع

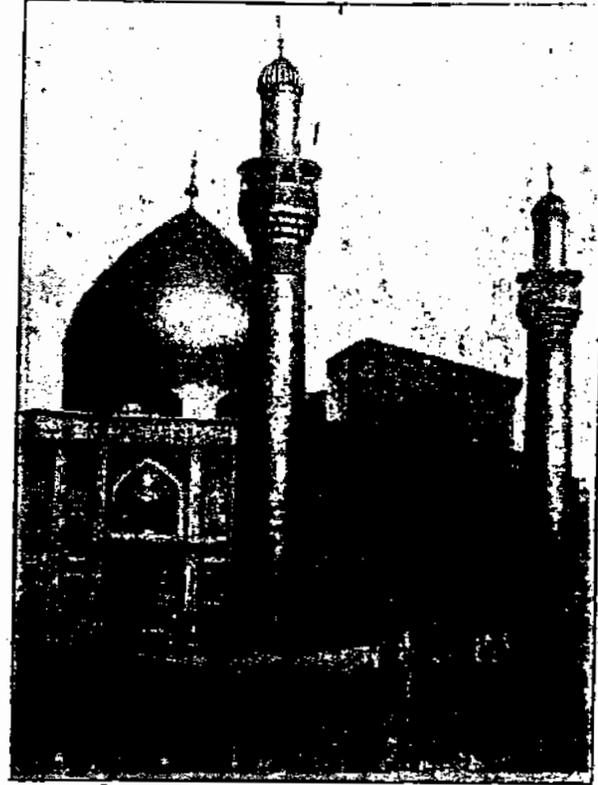
الأصدقاء الأحياء!

وتجلى الباب لي من زائر من أودائي كأننا أخوان
فتعلمت ولبي شارد كيف يكسى الود ثوب الشنان
قال لي: (الأفق جميل) قلت لا بل دميم. قال: زاه. قلت: فان
قال: زيد قلت: حاشا، فاشئ نحو عمرو. قلت: كلا بل فلان!
ففضى يمجيب مني سائلا: أسلام! قلت: بل حرب عوان
ذهب اليوم وما أحلكه كان من يوم نعام النيران
لم يكن في ضيحه أو ليله حظ عين، أو لسان، أو جنان
فالك يوم يا حبيبي واحد وغد منه غنى عن بيان
نم يا سيدي « غنى » عن بيان، فقد عشنا معك في هذه
القصيدة يوماً مغموق الأنفاس، مكروب الصدر، ورأينا فيه
وحشتك وقلقك وتبرمك، بل أحسبنا نحن بالوحشة والقلق
والتبرم، وتمثل لنا يومك لحظة لحظة وساعة ساعة، كالح الوجه
كثيب الطلعة، ثقيل الخطوات!

سير قطب

« الغال بنية »

ولقد نظمنا فيها الجماعات للتذكير وحل عوائص تلك الأفانين من الثقافة وقصبت فيها روحاً من الزمن قياً . أما كيف قامت أركان هذه المدرسة العالية فذلك حديث جذاب تمتع



الايوان الدمي وللذئبان والقبعة القمبية على مرقد الامام علي (ع)

هناك أسطورة تقص في (إرشاد الدبلي وعمدة الطالب) تقول إن القبر كان مخفياً عن عبث أعداء الدعوة الملوية إلى أن أظهره الرشيد وبنى عليه قبة ذات أربعة أبواب من طين أحمر وعلى رأسها جرة خضراء وتحتها الضريح من حجارة بيضاء . وحكى في فرحة النري في قصة طويلة أنه قبل الرشيد وضع داود بن علي المتوفى سنة ١٣٣ هـ سندوقاً دُرس بإيماله خوف سطوة العباسيين الذين تبدلت سياستهم تجاه الملويين حتى بطشوا بهم واضطهدوا شيعتهم وقدموا لهم كل مرصد . وسبب آخر في أندراسه هو عامل طبيعي غير هذا الأديب، فقد ساعد على ضياعه وقوعه في منخفض الوادي معرضاً لجري السيول ومهب الرياح

قال في نزهة القلوب : وعقيب بناء الرشيد بمدسنة ١٨٠ هـ جاوزه الناس . ومعكناك أن تعتبر هذه المجاورة بذرة الحياة العلمية الأديمة الحاضرة، فن مستلزمات مجاورة هذا المبدأ الإسلامي التي

كان ولا يزال منتجع الزوار من قاصي الأرض ودانها — تدبر الشريعة الإسلامية وتداول أحكامها . وقد وجدت إجازات برواية أحاديث قال راووها إنهم تلقوها في رواق قبر الامام (ع) وكان عهد هذا التلقي للعلم الإسلامي سحيقاً في القدم . وقرأت في (فرحة النري) أنه في أيام المعتضد العباسي بنى محمد بن زيد الملوي الداعي الصغير (صاحب طبرستان الذي ملكها عام ٢٧٠ بمد أخيه الحسن ثم قتل عام ٢٨٧ كما في كامل ابن الأثير وقد نسب المهارة لأخيه الحسن) — قبة وحائطاً وحصناً فيه سبعون طاقاً . وقد لوح ابن أبي الحديد إلى هذه المهارة إذ قال (زار القبر جعفر الصادق وأبوه محمد ولم يكن إذ ذاك قبراً معروفاً ظاهراً وإنما كان به سرح عشاء حتى جاء محمد بن زيد الداعي صاحب الديلم فأظهر القبة) (١) وقال ابن الأثير (وفي سنة ٢٨٢ هـ وجه محمد بن زيد الملوي سرّاً من طبرستان إلى محمد بن ورد المطار بائنين وثلاثين الف دينار ليفرقها على أهل بيته ببغداد والكوفة والمدينة فسمي به إلى المعتضد فأمره أن يكتب إلى صاحبه بطبرستان أن وجه ما يريد ظاهراً وأن يفرق ما يأتيه ظاهراً وتقدم بموته على ذلك (٢) وهذا يؤيد ما رواه ابن أبي الحديد . وقد طرأ على ما بناه الداعي بناء الرئيس الجليل عمر بن يحيى القائم بالكوفة فقد عمر قبر جده (ع) من خالص ماله ثم قتل عام ٢٥٠ هـ (٣) وحمل رأسه في قوصرة إلى السبعين العباسي (٤)

وبعد هذا تقوم بناية ضخمة يشيدها رجل السطوة والممران عضد الدولة البويهي ، حين تولى السلطة في المراق شاد عمارة القبر الثالثة (أقام بمسكوه في ذلك الطرف قريباً من السنة وبمست فأتى بالصناع والأساندة من الأطراف وخرب تلك العمارة وصرف أموالاً كثيرة جزيلة وعمر القبر عمارة جليلة حسنة) (٥) وقرأت في عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب . . . إلى أن

(١) شرحه لهج البلاغة ص ٤٥ ج ٢

(٢) تاريخ ابن الأثير ج ٧ ص ١٥٦

(٣) ج ٣ من مستدرک الوسائل للحدث التوري

(٤) ترى من التاريخ أنه توفي قبل ملك الداعي فلا بد أن الدين أخذنا منهم خبر إصلاحه عمارة الداعي قد غفلوا عن هذه الناحية

(٥) عن رياض السياحة ونزهة القلوب وإرشاد القلوب للدبلي وعمدة الطالب وفرحة النري على اختلاف جزئي في التاريخ

يسكنها الطلبة والصوفية من الشيعة؛ ومن تلك المدرسة يدخل إلى باب القبة عليه الحجاب والنقبا والطواشبة بأمر من الزائر بتقبيل العتبة وهي من الفضة وكذلك المضادان، ثم يدخل القبة وهي مفروشة بأنواع البسط من الحرير وبها قناديل الذهب والفضة منها الكبار والصغار، وفي وسط القبة مسطبة مربعة مكسوة بالخشب عليه صفايح الذهب المنقوشة المحككة العمل مسمرة بمسامير الفضة قد غلبت على الخشب بحيث لا يظهر منه شيء، وارتفاعها دون الثامنة ورفوها ثلاثة قبور يزعمون أن أحدها قبر آدم (ع) والثاني قبر نوح (ع) والثالث قبر علي (رض)، وبين القبور طسوت ذهب وفضة فيها ماء الورد والسك وأنواع الطيب ينمس الزائر يده في ذلك ويدهن به وجهه تبركا. وللقبة باب آخر عتبه أيضا من الفضة وعليه ستور من الحرير الملون يقضى إلى مسجد مفروش بالبسط الحسان مستورة حيطانه وسقفه بمتور الحرير وله أربعة أبواب عتباتها فضة وعليها ستور الحرير. وخزانة الروضة عظيمة فيها من الأموال ما لا يضبط لكثرة (١)

(المراق، النجف الأشرف) «يتبع» ضياء الدين الرهيني

(١) رحلة ابن بطوطة ج ١ ص ١٠٩

كان زمن عند الدولة فناخسرو ابن بويه الديلمي فعمره عمارة عظيمة وأخرج على ذلك أموالاً جزيلاً وعين له أوقافاً، ولم تزل عمارته باقية إلى سنة ٧٥٣ وكان قد ستر الجيطان بخشب الساج المنقوش فاحترقت تلك العمارة وجددت عمارة الشهيد على ما هي عليه الآن (توفي المؤلف سنة ٨٢٨) وقد بقي من عمارة عند الدولة قليل)



قبر الامام علي (ع)

وقال آخر إن عمارة عند الدولة من أجل الممارات ومن أحسن ما وصلت إليه يد الانسان في ذلك الوقت بذل عليها الأموال الطائلة وجلب إليها الرازة والنجارين والعملة من سائر الأقطار. قالوا (١) إن هذه العمارة وإن كان لمضد الدولة يرجع تأسيسها فقد عرضت عليها إصلاحات جمة وتحسينات قيمة من البويهيين ووزرائهم والمحدثين ومن المنتصر العباسي الذي عمر الضريح للقدس وبائع فيه وزاره مراراً (كما في فرحة الثري) وكذلك لقد عمر من قبل: بني جنتكزخان وغيرهم حتى وصلت العمارة إلى ما شاهده ابن بطوطة الرحالة الذي ورد بها بعد أن قضى حجه عام ٧٢٥ هـ وقال في رحلته: (زلنا مدينة مشهد على بن أبي طالب (رضه) بالنجف وهي مدينة حسنة نظيفة في أرض فسيحة صلبة من أحسن مدن العراق وأكثرها ناساً وأتقنها بناء... دخلنا باب الحضرة حيث القبر الذي يزعمون أنه قبر علي (ع) وإزائه المدارس والزوايا والخوانق معمورة أحسن عمارة وحيطانها بالقاشاني وهو شبه الزليج عندنا لكن لونه أشرق وتفتنه أحسن. ويدخل من باب الحضرة إلى مدرسة عظيمة

(١) كتاب الفاضل الشيخ جعفر محبويه

وبراهه:

أغاني الريم

للشاعر الملهم العوضي الوكيل

قصائد ومقطوعات من النَّسَقِ المَالِي، يحفل بمشدر مما
يجيش في النفس الرفيعة من أحاسيس، يطيبك بعمق تأمله
وصدق إحساسه وسلامة تبيره

الاشتراك فيه قبل الطبع ٦ قروش صاغ

ترسل إلى المؤلف بعنوانه
مدرسة محمد علي الصناعية . الناطقي . الاسكندرية